

طرفه بن العبد

شاعر الطبقة الأولى، وأحد أمراء بني بكر بن وائل الشباب وأشجعهم وأجرأهم، هجى الملك عمرو بن هند وقتله هجاؤه عن غيلة لا عن مواجهة.

عاش في بيئة شعراء وتجرع الشعر أبًا عن جد، عاش يتيمًا في صحبة خاله المتلمس العبدى وعماه المرقشان فطاحلة الشعر في عصرهم لكنه برز متفردًا بشعره وحكمته عليهم في ظل ظلم أهله له.

ولد في واحة الأحساء وبحسب النصب الذي وضعته الجهة الموثقة لتتبع مولده عام 543 ميلاديًا، جوار جبل القارة، وكان حوض الخليج مرابعه بامتداد الساحل الشرقي من الجزيرة العربية حتى اليمامة غربًا، وباتساع تلك المساحة من البصرة شمالًا حتى عمان جنوبًا وبما يسمى بإقليم البحرين التاريخي.

هو الشاعر المنقف الذي يملك فلسفة شعرية متقدمة، ارتكزت في مثلث المرأة والفروسية والخمر، وضمن القيم الإنسانية العليا لديه كانت الأمانة والصدق والإقدام حيث قيل عنه حامل حتفه بيده، من خلال نقله لرسالة موته المقدمة من الملك عمرو بن هند إلى المكعبير عامله على البحرين وعمان وقيل أنه سجنه ولم يقتله لكن الملك بعث من يقتله.

كان مضمون الرسالة:

إذا أتاك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا.

وهي الرسالة التي فتحها المتلمس وقرأها لشعوره بالغيلة حتى القاها في النهر، وحذر طرفه مما يحمله إلا أن أمانة طرفه قادت له حتفه عام 569 ميلاديا.

كان ظلم ذوي القربى الاغتراب أثرًا جعل من معلقته ضاربة تاريخ العرب والذي وسم فيها الأخلاق والحكمة وتوحيد الله، وحفظ تراث العرب بما ذكر من صناعة وملاحة وأدوات حرفية، وأعطى دلالات شعرية قرينة بأنه موحد الله سبحانه في ذات المعلقة.

اشتهر من أخباره خلافه مع أخيه معبد وابن عمه مالك، وقصة ضياع الإبل بسبب شروده وتفكيره العميق في مشاكله التي قادتته لإهمال ما كان يرقاه إن صدق القول.

رثته أخته الخرنق نظير وصاياه التي أودعها مصاغة في شعره، واطر مثالا للفخر وعزة النفس، راحة العقل واختياره الدقيق للمفردات التي حاك شعوره بتجربته ومشاعره بإلقائه الذي ثبت في المسامع فكتب المدونون شعره وعلقوه على أستار الكعبة.

تعد معلقته هي الأكثر طولًا والأدق وصفًا وينطبق عليها مسمى القصيدة الموسوعية حيث ذكر أكثر من ثلاثين بيتًا في وصف الناقة وجمالها ومشيتها وتفاصيل تجسيمها وتشبيه المحبوبة بعدد من أوصافها.

جعل من برقة ثهد موطن محبوته خولة الكلبية من بني مالك والتي خلدها التاريخ بهذه المعلقة وقد تكون حسب الوصف خيالًا من غير واقع والذي قاد النقاد لتتبع غوايته ناحية مراتع اليمامة حيث يسرح بالنياق ويعربد منغمسًا بهوموه.

بعض انعكاسات أبياته تلمح لإيمانه بالقضاء والقدر والموت والحياة لذا يعطي أثر العيش بكرامة وفق ما كان عليه في تلك الأزمان.

تلك المصائد اللفظية الخالدة -قرائن البوح- ماهي إلا بواطن يؤمن بها طرفة قادت الأجيال التي بعده تتعايش وفق عقائدها تلك القلائد من استقعدادات لغوية حتى يومنا الحاضر.

الوشم على ظاهر اليد، حباب الماء، الترب المفايل المقسوم باليد... ألخ إشارات للحرف اليدوية التي كانت في تلك الحقبة الزمنية والعجيب أن الكثير يصوره أنه فقط يهيم في الصحراء، وكأنه لم ينعم بالواحة والمياه وجمال الطبيعة وأناقته ورونقه في اللباس كأمر شاب عزيز في نفسه وقومه وحيثما يذهب ثمة لون الحياة والخضرة والأعشاب والنباتات العطرية الزاكية.

وأعلاه تتناسب مع عام الحرف اليدوية التي أضفت على طلال الإنسان السعودي ابن الجزيرة العربية عمومًا، وإنسان الأحساء عجيبه الطبيعة وجنة الـ بصفة خاصة.

وعن أم المؤمنين عائشة أنها قالت:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا استراحت الخبر تمثل بيت طرفه ويأتيك من لم تزود بالأخبار.

ويقصد بذلك قول طرفه:

سَتُبْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

نموذج من القصيدة الدالية على البحر الطويل:

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالُ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عِلَاقِي مَطِيَّهٌ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّدُ

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَةٌ
خَلَايا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَرٍ

عدوليةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ
يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طُورًا وَيَهْتَدِي

يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حِزُومَهَا بِهَا
كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفِضُ الْمُرْدَ شَادِنُ
مُظَاهِرُ سِمْطَايَ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ

خَذُولُ تَرَاعِي رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ
تَنَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ، وَتَرْتَدِي